

## الفصل السابع

- أثر الاحتفال بالذكريات
- الهجرة كفاح لتحرير الانسان
- الهجرة اول صرح في بناء الوحدة
- شهر شعبان
- غزوة بدر « يوم المبادئ »
- يوم بدر
- الأعياد فرصة لتجديد الحياة
- العيد في حياتنا الاجتماعية
- الروابط الانسانية في العيد
- عيد الفطر
- العيد الأكبر وأيام التشريق



## أثر الاحتفال بالذكريات

تحتفل الشعوب والأمم عادة بالذكريات التي تتصل بتاريخها وتتكونها كشعب وأمة . وهي ذكريات لأحداث قام بها أفراد . وهذه الأحداث خلفت مبادئ وقامت على تحقيقها . والذكريات التي تحتفل بها الشعوب والأمم هي في واقع الأمر ذكريات لتلك المبادئ التي حمل رسالتها أفراد خاصة من بينهم .

والاحتفال بالذكريات المبادئ التي تتصل بحياة الأمة أو حياة الشعب سنة طبيعية للشعب الذي يعرف تاريخه ، ثم يحرص على بقاءه كشعب له شخصية خاصة وغاية معينة ، في حياته وفي كفاحه من أجل البقاء .

في ذكريات ميلاد الرسول محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام : تحتفل بالذكريات ميلادة . وفي واقع الأمر تحتفل بالمبادئ التي قامت عليها الجماعة الإسلامية وتحتفل بتاريخ قيامها ، وفي الوقت نفسه نوحى بهذا الاحتفال إلى إيقاظ الحرص في نفوس المسلمين على استمرار بقائهم كشعب وأمة .

واحتفالنا بالمبادئ ليس بتمرير عناوينها على ألسنا ، وإنما بتمثلها في نفوسنا ، ثم بتحويل ما تمثله منها إلى أعمال في حياتنا العامة والخاصة .

ومحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام إذا قرأنا تاريخ حياته مع رسالة الإسلام ، في هذه الذكريات النبوية الكريمة ، أو إذا استمعنا لقصة هذا التاريخ في هذه المناسبة ، فإنه ينبغي ، عندما نقرأ أو نسمع ، أن نعيش معه في حياة الكفاح والمجاهدة من أجل رسالة الإنسانية الفاضلة . ينبغي أن نصحبه في نشأته ، ونصحبه عندما قام يدعو لرسالته ، ونصحبه في كفاحه من أجل تثبيت هذه الرسالة ، ونصحبه في جو مبادئها وجو نواها .

ونحن إذ فعل ذلك فعمله من أجل حرصنا على أن نبقي مسلمين . أى من أجل أن تبقى تلك الأمة الخاصة التى تكونت وعرفت فى تاريخ البشرية بأنها الأمة المسلمة .

نحن نحتفل بذكرى ميلاد الرسول عليه الصلاة والسلام من أجل أنفسنا ، ومن أجل مستقبلنا . نحن أمة تميزت بأنها الأمة المسلمة . فلكى تبقى هذه الأمة — ولا بد أن تبقى — نستعيد على أمتنا تاريخ الإسلام فى قيامه وفى مبادئه بذكرى ميلاد صاحبه ، ونفقه ذلك جيداً ، وندفع أنفسنا بعد ذلك دفعاً قوياً جديداً . لنستمر مسلمين أصحاب شخصية إسلامية ، وأصحاب رسالة إنسانية فى الحياة .

نتذكر فى نشأة صاحب هذا الميلاد الكريم : ما كان عليه من خلق قويم يتمثل فى الأمانة والوفاء بالوعد وإحقاق الحق . ونتذكر قيامه بالدعوة إلى رسالته وما اعترض طريقه من عقبات ومؤامرات ، صعب أمرها وطال زمنها . ونتذكر فى كفاحه من أجل هذه الرسالة ما أخذ به نفسه من الصبر والاحتمال وقوة الإيمان . ونتذكر فى رسالته ما جاءت به من توازن وتعادل بين الناس جميعاً ، ما جاءت به من توازن بين نفس الإنسان وجسمه ، وبين المرء وأخيه وابنه وأبيه وأمه ، وبين الجار وجاره وبين الراعى ورعيته ، وبين المسلم ومن يشاركه فى إسلامه واعتقاده به .

فإذا تذكرنا فى شخصيته عليه الصلاة والسلام ذلك كله كان أمامنا نموذج لإنسان فى خلقه وإيمانه وكفاحه ، وكان نموذج كذلك لرسالة جاءت للمساواة أى للتوازن والتعادل بين الناس فى حياتهم الخاصة وفى مجتمعهم عامة

وعلى هذا النحو من الاحتفال بمثل هذه الذكرى نكون قد أذدنا منها أنفسنا . أما أبناؤنا فسيبيلهم إلى النفع بها أن يحسوا بمباهجها ومظاهرها الخارجية لينفذوا

من هذه المباحج والمظاهر إلى حقيقة الذكري وغايات ما وقع فيها مما يذكرو بتذكري .  
وبتكرار الاحتفال بها تنطمع في نفوسهم صورة واضحة لها ، يصدرون عنها فيما بعد  
في سعيهم في الحياة ، ويدركون بها معالم وجودهم كجماعة وأمة لها مستقبلها .

الاحتفال بالذكريات ضرب من ضروب التفكير في أحداث التاريخ ، لا يشر  
إلا إذا ترتبت عليه نتائج وآثاره من وعيها والعمل بمقتضى ما وعى منها . وتلك  
سنة الجادين في الحياة وأماراة أيضاً على حيوياتهم فيها . وقد امتدح الله سبحانه في  
قرآنه الكريم أولئك الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض فأمر تفكيرهم  
نتيجته المستقيمة وهي الاعتراف بخلقه وربوبيته . فيقول : « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ  
اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ،  
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا <sup>(١)</sup> » .. امتدحهم لأنه لم تمر عليهم طبائع الوجود  
دون أن يدركوا قيمتها وآثارها . امتدحهم لأنهم انشغوا بالنظر فيما يحيط بهم ،  
واستخلصوا منه : أن اهتدوا بالإيمان .

وشأن الذكريات في تاريخ الأمة شأن الطبائع في الوجود ، تمر على الإنسان  
أو يمر الإنسان عليها ، تكون ذا أثر إيجابي في حياة فريق من الناس ، وتبقى  
بلا أثر في حياة فريق آخر . وينتفع بها فحسب أولئك الذين يعيشون في بقطة ويحرصون  
على أن يبقى وجودهم مصوناً .

حياة الإنسان تاريخ وسجل لأحداث قومه وأمه . الإنسان الحي هو الذي  
الذي يجعل من هذه الأحداث ذكريات يربط بها ما ضيه بمستقبله . وميلاد المصطفى  
عليه الصلاة والسلام يجب أن نجعل منه ذكري ، وأن ننتفع به كل عام في تجديد  
بناء أنفسنا وفي التمسك بمستقبل الجماعة الإسلامية .

## الهجرة كفاح لتحرير الإنسان

يقول الله جل شأنه : « إِنْ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدُوهُ بِمُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (١) :

يعلن الله سبحانه بهذه الآية الكريمة ، الحد الفاصل بين عهدين متميزين في تاريخ الدعوة إلى الإسلام : بين عهد مليء بالخوف والرعب والإيذاء النفسى والبدنى بالنسبة لصاحب الرسالة محمد ﷺ وصحبه الأول الأوفياء رضوان الله عليهم ، وهو عهد الدعوة الإسلامية بمكة موطنه وموطن قبيلته قريش قبل الهجرة إلى المدينة .. وبين عهد تال بعد ذلك طبع بطابع العزة والسيادة للمسلمين ولكلمة الحق ، وهو عهد ما بعد هجرته عليه السلام إلى يثرب مدينة أخوال جده عبد المطلب من بنى النجار ، ومقر قبر أبيه عبد الله بن عبد المطلب .

هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة كانت خاتمة لمرحلة كفاح من أجل الحق ، وهو كلمة الله وحده . كفاح لم يعتمد إلا على الإيمان بهذا الحق وحده وعلى أن النصر له حتماً في النهاية : فلم يكن المسلمون طيلة السنوات الثلاث عشرة وهم بمكة قبل الهجرة على حال من القوة البدنية أو المادية ، ولم يكونوا في مأمن من الخصومة العنيفة غير الشريفة من أعدائهم ، بل كان عددهم قليلاً ، وحالهم ضعفاً ، ووضعهم في الحياة العامة وضع المحاصر عن قصد وبسوء نية ، وضع التآمر عليه ، وضع المذهب المستخف به .

ولكن إيمانهم وحده هو الذى حالهم يمتلئون هذا اللون القاتم المهان من الحياة هذه السنوات الدديدة فى كفاحهم من أجل الحق .

وهجرة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة كما كانت خاتمة لهذه المرحلة المريرة في الكفاح من أجل الحق - كانت بداية لمرحلة ثانية غلبت عليها قوة العدد والعدة عن ذى قبل بجانب قوة الإيمان المستمرة ، التي لم تفارق الكفاح من أجل هذا الحق حتى انتصر ، ودخل الناس في دين الله أفواجا . وبفضل هذا الكفاح والإيمان القوى عد المؤمنون المهاجرون أصحاب درجة عظمى عند الله : « الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاءَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةٍ عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ <sup>(١)</sup> » .. وبهذا الكفاح المرير في سبيل الدعوة الإسلامية كان المهاجرون من مكة والذين آوؤهم ونصروهم بالمدينة في مقدمة المؤمنين وعناوين واضحة للإيمان الحق : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاءَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ <sup>(٢)</sup> » .

والهجرة إذن صورة مميزة من صور الكفاح في سبيل الحق ، ومظهر للإيمان القوى به . لم تكن إلا صدى لبلاغ الأذى مبلغه من المهاجرين وصدى آخر اقوة احتماهم لهذا الأذى وقوة صبرهم على الضيم والمكاره . وهذا الصبر في قوته وذلك الاحتمال في قوته الأخرى لا يكون إلا من مؤمن تأصل الإيمان في نفسه وسيطر على اتجاهه في الحياة .

ولكن ما هو هذا الحق الذي آرد هذا الإيمان القوى ، وكانت الهجرة به من مكان صورة من صورة قوة الإيمان به ؟ . إنه رسالة تحرير الإنسان في اعتقاده ، وفي تفكيره ، وفي سميه في الحياة . وامل كلمة جعفر بن أبي طالب للنجاحي عندما سأله بعد أن التجأ إليه - قبل هجرة الرسول عليه السلام إلى

(١) التوبة : ٢٠

(٢) الانفال : ٧٤

يثرب - وطالب مبعوثاً قريش [ عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة ] بتسليمه إياها ومن معه من المهاجرين المسلمين إلى الحبشة - اعل كلفته هذه على إجمالها : توضح هذا الحق في مقابل ما كان عليه العرب في الجاهلية من باطل الاعتقاد والتصور ، والسلوك في الحياة .

يقول جعفر : « أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية : نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأني انفراش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، وأكل القوى الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وأماته ، وعقابه ، فدعا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً . . . فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وحرمانا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا » .

هذا في إجماله يوضح : أن الحق في الاعتقاد أن يعبد الإنسان الله وحده ، لا يشرك به شيئاً ، وأن الحق في التفكير أن يفكر الإنسان في غيره كما يفكر في نفسه ، ويبتدئ في ذلك عن أن يكون أنانياً فيما يفكر ، وغير منحرف في منهج تفكيره ، وأن الحق في السعي في الحياة أن يكون سعى الإنسان فيها لنفسه وأهله وعشيرته ومجاوريه ، ومواطنيه ، ثم مشاركته في الانسانية .

هذا الحق هو بيمينه تحرير الإنسان من الوثن في الاعتقاد ، وتحريره من الأنانية في التفكير ، والأنانية في السعي .

إن الإنسان الوثني في اعتقاده إنسان جعل للمخلوقات والكائنات ساطعاً على نفسه في توجيهه وتصرفه . إنه غل عنقه بيمينه بحيث صار تابعاً لما دونه في

للوجود ، يستوحى منه التوصية ويستلهم منه السلوك والمواقف ، حين لا يستطيع هذا الذى يُستلهم ويستوحى منه فمأ ولاضراً لنفسه .

إن الإنسان المشرك الذى يعبد مع الله غيره إنسان ردد نفسه فى التوجيه يمنة وبسرة ، وأسلم زمام أمره لغير ذى شأن فى الوجود . فحتماً يلتوى عليه القصد كما ينحرف به الطريق إلى ما يقصد .

والإنسان الأمانى فى تفكيره ، والأمانى فى سعيه ، إنسان أخضع نفسه إلى هواه . ينظر للحياة على أسهاله وحده ، ويسمى فيها على أنه أولى بها فيصطدم فى تفكيره كما يصطدم فى سلوكه بغيره الذى يقاسمه هذه الحياة فيشقى بتفكيره عندئذ كما يشقى بسلوكه . وسبب شقوته فى الأمرين : أنه لم يستطع أن يحمر تفكيره من أبنائته ويحمر سلوكه من ذاته .

الهجرة عنوان على كفاح وعلى إيمان برسالة . وحياة الإنسان ، ذلك الكائن للتمييز عن الحيوان ، هى إيمان وكفاح . حياة الأفراد كحياة الأمم يجب أن تكون مليئة بالإيمان برسالة ويجب أن يكون السعى فيها كفاحاً لتحصيلها وتحقيقها . إن خلت حياة الأفراد والأمم من الإيمان والكفاح خلت من الحياة الإنسانية نفسها وأصبحت شبيهة بحياة السائمة .

والإيمان بالحق أجد أنواع الإيمان ، والكفاح فى سبيله عاقبته النصر حتماً ولو بعد حين .

والحق الواضح هو الذى يستهدف خير الناس جميعاً . وفى مقدمة هذا الخير : حسيانهم من العبث والفساد فى العقيدة والتصور والسلوك .

## الهجرة أول صرح في بناء الوحدة

يقول الله تعالى : « وإن يريدوا أن يخمدواك فإن حبسك الله هو الذي أيدك بنصره وبلاؤميين . وألف بين قلوبهم ، لو أفتت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله أف بينهم ، إنه عزيز حكيم . يأتيها النبي حبسك الله ومن اتبعتك من المؤمنين . » (١) .

هذه الآيات الكريمة يحدث الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عن بعض نتائج الهجرة التي أذن له فيها ، بعد ثلاثة عشر عاماً قضاها في مكة ، داعياً لدين الله ، مثابراً على دعوته وصابراً في سبيلها ، ومتحصلاً صوراً عديدة من آلام مواجهته برفض الدعوة والعداوة في رفضها ، ومتحملاً أواناً من مرارة شعور النفس بالإيذاء مرة ، والحرج مرة أخرى .

إن هذه الهجرة أثمرت - فيما أثمرت - وحدة القلوب بين المهاجرين ، الذين انتقلوا بإيمانهم وبرصاتهم من مكة إلى المدينة ، وبين الأنصار ، وهم المؤمنون من سكان المدينة الذين آووا ونهروا أولئك المكابن المهاجرين عندما وصلوا إليهم . أثمرت تماسكهم في ترابهم ، أثمرت تقادهم في طريق واحد وعزمهم على الوصول إلى الهدف الواحد . أثمرت رفع ما كان بينهم من روح العصبية القبلية وإزالة ما كان بينهم من خصومة أو جدوا العراع الذي كان يسود حياة القبائل إلى قيام الدعوة الإسلامية

تدنى التفرقان ما كان يتفاخر به الآباء ، وما كان يشير الفرقة بين ذريتهم . واندفعوا في الاتجاه الذي رسمته الدعوة الجديدة ، وهي الدعوة إلى الإسلام . وأصبحوا بعد إيمانهم مؤمنين بالله فقط ، لا مكابن ولا مدبين . وضحوا في سبيل

لله وحده ، لافي سبيل القبيلة . وجاءدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الحق والإيمان به ، لافي سبيل العصبية والتشيع لغير الحق والإيمان به . ولتلك كأوامهم المؤمنين حقاً : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاءَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ، لَمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ <sup>(١)</sup> » .

\* \* \*

وكان للهجرة هذا الأثر من ترابط القلوب ، ووحدة الصفوف ، وتماسك الأيدي ، لأنها لم تكن انتقالاً ولا تغييراً لمسكان ، بل كانت عنواناً على عزم وتصميم هو عزم المؤمن بالحق والتفاني في سبيله . كانت عنواناً على الجلد والكفاح والمثابرة فيه من أجل المثل والقيم . وإخراجهم الآخرون بالديانة الذين آوؤهم ونصروهم كانوا أيضاً أصحاب عزم وتصميم ، وأصحاب جلد ومثابرة على الكفاح ، من أجل الإيمان والحق والمثل والقيم . ولذا عاهدوهم على نصرتهم قبل أن يأتوا إليهم ، بل دعوهم إلى القدوم إليهم حتى تكون لهم جميعاً عزة بعد ذلك ، وقوة بعد ضعف ، وحتى تندف هذه القوة في طريقها ويكون الدين كله لله ، وحتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

ولسكان الهجرة في توحيد الكلمة ، — وحدة القلوب والاتجاه ، وفي تحويل وضع المؤمنين من الضعف إلى القوة ومن الذلة إلى العزة والسيادة — رغـب القرآن الكريم في الهجرة إذذاك ، ونادى المؤمنين في أي مكان أن يلجئوا بإخراجهم المهاجرين الأولين ، ويكون لهم مالأولئك من الدرجة والفضل : « وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ ، وَهَاجَرُوا وَجَاءَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ، وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ <sup>(٢)</sup> » .

إن الهجرة هي نقطة التحول في تاريخ الدعوة إلى الإسلام وفي تاريخ المؤمنين

به ، وسيادتهم على أنفسهم ومواجهتهم بغيرهم وهم أعزاء كرماء . هي نقطة البداية نحو القوة والعزة . هي أول صرح قوى في بناء الوحدة الإسلامية ، التي قامت على صفاء النفوس والتقاء القلوب ، وتضافر العزم والتصميم على الوصول إلى النصر . وقد كان لهم النصر بعد ذلك . وكان لهم التأييد من الله لأنهم أخلصوا فيما آمنوا به ، وضجوا بشهواتهم وبأمهاتهم ، وبما لهم من متع الحياة في سبيل ما آمنوا به : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصروه ، إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور (١) » .

### مفزى الهجرة في الاسلام :

إن هذا هو مكان الهجرة في الإسلام . هي ليست هرباً ولا فراراً من الكفاح . ليست أمانة على ضعف بالإيمان بالحق ولا تخلصاً من مواجهة الأزمات والشدائد . إنها كانت تعبئة لنفوس بالإيمان ولقوى البشرية بالتكامل . وكانت إعداداً للقوة . إنها كانت تصميماً على النصر من أجل الحق ، فأثمرت القوة ، وكانت القوة في الوحدة . . ثم أثمرت الوحدة والنصر . وكان النصر هو قطع دابر الكافرين ، والعزة للمؤمنين . ومن أجل هذا إذا كانت الهجرة بمعنى ما الذي عرف على عهد الرسول ﷺ قد انتهت بفتح مكة ، فالهجرة بمعنى التعبئة في سبيل الحق ، والهجرة بمعنى الإعداد للقوة والنصر ، والهجرة بمعنى التكامل والاتحاد في مواجهة العدو الذي يبغي التفويض ونشر الفركة . . الهجرة بهذا المعنى باقية

ومستمرة في البقاء . ولذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ  
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضُوا  
عَنْهُ <sup>(١)</sup> .. إذ الذين يتبعون المهاجرين والأنصار بإحسان هم أولئك الذين يقفون  
أثرهم فيما أعدوا أنفسهم به من سلاح الوحدة وجمع الكلمة ، وفيما أعزوا به  
دين الله ، وفيما أحرزوه من نصر أيدهم فيه الله .

الهجرة ذكرى الوحدة ، وذكرى القوة ، وذكرى الإيمان ، وذكرى

النصر .

---

(١) التوبة : ١٠٠

## شهر شعبان

إذا تحدثنا عن الأشهر والأيام والامسكة ، وعن قيمها في نظر الإسلام ، فحديثنا عنها في واقع الأمر هو حديث عما ارتبطت بها من ذكريات وأحداث ، كانت لها في تصوير بعض مبادئ الإسلام نفسه . ومن ذلك حديثنا اليوم عن شعبان :  
فروى عائشة رضی الله عنها في حديث لها تقول فيه : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم من شهر أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله . وفي رواية : كان يصوم شعبان إلا قليلا .

فحرص النبي عليه الصلاة والسلام على صوم شعبان أو صوم أكثره - يعطى ما للصوم عامة من أهمية في حياة الانسان وحيوة المجتمع ، ثم ماله من أهمية على وجه الخصوص في شهر شعبان . وأهميته على وجه العموم لأنه وسيلة يصفى بها الإنسان نفسه ، وقلبه ، ويهذب بها لسانه وسلوكه ، ثم هو وسيلة من جانب آخر يلقى بها الإنسان أزمات الحياة الخاصة والعامة ، وما أكثرها وما أشدها في بعض الأحيان .

أما أهمية الصوم في هذا الشهر بخصوصه فهي أنه تمهيد لأداء واجب الصوم المفروض وهو صوم رمضان . فإذا صام الإنسان بعض أيام هذا الشهر - قلت أو كثرت - فيستشعر بأنه قد أعد نفسه لقبول صوم رمضان ، كما أعد لها لأدائه إعداداً فيه رضاء نفسى وعدم مشقة في الأداء .

\* \* \*

ومما يرتبط بشهر شعبان أيضاً ، وله أثر في توكيد بعض مبادئ الإسلام ، ما يحدثنا به تاريخ الإسلام عندما اتصل المسلمون بغير المسلمين والتقوا بهم في بعض المواقع والحروب . فهو يحدثنا أنه في الأيام الأولى لولاية عمر رضی الله عنه

التقى جيش المسلمين بجيش الفرس في شعبان ، في موقع يعرف : «بالتارق» في أرض الفرس . وكان على رأس جيش المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي . فلما انتصر المسلمون اتضح لأبي عبيد أن قائداً كبيراً من قواد الفرس وقع في الأسر ، وأمنه أحد المسلمين ، أوى وعده بسلامة حياته من القتل . وهنا أشار بعض المسلمين على أبي عبيد بقتل هذا القائد . فكان جواب أبي عبيد : «إني أخاف الله أن أقتله وقد أمنه رجل مسلم ، والمسلمون كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم» .

وما منعه أبو عبيد هنا هو تطبيق على لما فعله رسول الله ﷺ من قبل . فيروى في رواية البحارى عن أم هانئ بنت أبي طالب أنها قالت : « قلت يارسول الله : زعم ابن أمى على [رضى الله عنه] أنه قاتل رجلاً قد أجرته [أمنته] فلان بن هبيرة [وتسمى جعدة بن زوجها هبيرة بن وهب الخزومي] فقال رسول الله ﷺ : « قد أجرنا ، امنا ) من أجرنا يا أم هانئ» .

فيما وقع من أبي عبيد في خلافة عمر رضى الله عنه من أنه احترام عهداً لأحد المسلمين أعطاه اليوم لمن وقف منهم بالأسس موقف المدو المحارب اللدود ، وهو تأمين سلامته والإبقاء عليه حياً ، لا يؤذى ولا يضار - هذا الذى وقع من أبي عبيد يدلنا دلالة واضحة على أن الروح الإسلامية ، وهى روح العفو والصفح عند المقدرة وعند النصر : كانت سنة المسلمين الذين فهموا إسلامهم واتبعوه في شئون حياتهم . ثم يدل دلالة أخرى على أن الفرد المسلم فى المجتمع الإسلامى له كيان له احترامه ، لا يلغيه المجتمع ولا يضعى بإرادته . لأنها إرادة المسلم الذى يشعر فى نفسه بمقومات مجتمعه ، ويحرص على كيانها كما يحرص على وجود نفسه . ولذلك ما يلتزمه بعضهم يلتزمه البعض الآخر ، كما قال أبو عبيد نفسه : « والمسلمون كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم» .

هذه الذكريات التى يروىها تاريخ الإسلام والتى ترتبط بشهر شعبان من شأنها

أن تميل إلى عقولنا صورة صحيحة سليمة لمبادئ الإسلام ، ومن شأنها أيضاً أن تقوى في قلوبنا الإيمان به ، كنظام للحياة الإنسانية التي لا عوج ولا انحراف فيها .  
واليوم محاول أن تنزوا المسلمين ، تنزوا أسماعهم وعقولهم وقلوبهم : اتجاهات يحاول بعضها أن يبنى اعتبار الفرد كاية في مجتمعه ، ويحاول البعض الآخر منها أن يجعل الفرد كل شيء ، يهون في سبيل فرديته وأنايته : المجتمع الذي يعيش فيه .  
ولكنه الإسلام كما يبدو من هذا المبدأ وهذا التطبيق له — الذي رويناها الآن ، كما حدى ذكريات شعبان — يوضح لنا مدى احترام الفرد في مجتمعه ثم مدى حرص الفرد على هذا المجتمع في نظر الإسلام .

الإسلام يريد فرداً بناءً ، متعاوناً ، ويريد مجتمعاً مكوناً من أفراد لهم حريتهم ومشيتهم ، ولكن يمر قلوبهم بالإيمان بوجود هذا المجتمع وبالمثل التي يسعى إليها . وما يقوله القرآن الكريم : « وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ »<sup>(١)</sup> .. يريد أمة واحدة في مقوماتها وأهدافها ، أمة واحدة في عبادتها رباً واحداً ، أمة واحدة في تمارنها وتماسكها ، ولكن لأفرادها حريتهم ومشيتهم ، حرية بعيدة عن القوضى ، ومشيتة بعيدة عن الهوى والأناية .

## غزوة بدر : « يوم المبادئ »

يقول الله تعالى ، وقوله الصدق : « وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ [ أَيْ وَأَنْتُمْ ضَعِيفَةٌ لِقَدْرَةِ عَدَدِكُمْ ] فَاتَّبِعُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١) » .. أى اتقوا بطاعتكم لله ورسوله لتكون طاعتكم هذه عنواناً على شكر الله إزاء نصركم وإعزازكم .

هذه الآية الكريمة تشير إلى واقعة « بدر » وإلى نصر الله للمؤمنين فيها ، مع ما كانوا عليه من قلة يومئذ ، وما كان عليه عدوهم من كثرة في العدد وقوة في الإعداد والعدة . وبدر مكان في الطريق بين المدينة ومكة التقى المسلمون بالمشركين في وادى هذا المكان في صبيحة الثلاثاء اليوم السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة [ تقريباً في منتصف شهر مارس من سنة ستائة وأربع وعشرين ميلادية ] ولم يكدهم يمضى هذا اليوم حتى كان النصر لحليف المؤمنين ، وهم ثلاثمائة عشر رجلاً تقريباً ، ضد للشركيين المكيين وكان عددهم يتجاوز الألف .

وموقعة بدر هذه هي أول حادث التقى فيه المسلمون بالمشركين التقاء حرب وجهاً لوجه . وقبلها كان عمل المسلمين وهم بالمدينة - رداً عما صنعه المشركون معهم في مكة - وهو تمويق أمر ارتحال المشركين من مكة إلى الشام وبالعكس في تبادل التجارة ، ذلك التبادل الذى كان قائماً من قديم بين المكيين والشاميين قبل الدعوة الإسلامية .

وقبل هذا التقاء في موقعة بدر نما إلى الرسول ﷺ أن أباسفيان بن حرب تأخذ من رحلته إلى الشام في طريقه إلى مكة في أربعين رجلاً معهم بغيرهم تحمل ما استقدموه من الشام من سلع ، عوضاً عما صرفوه هناك من محاصيل مكية . فدخل عليه السلام قومه إلى لقاء أبى سفيان ومن معه . وهنا يروى ابن أبى حاتم من

حديث أبي أيوب أنه قال : « قال لنا رسول الله ﷺ ونحن في المدينة : إني أخبرت عن عير أبي سفيان [ وهي عائدة من الشام ] فهل لكم أن تخرجوا إليها لعل الله ينمنا إياها [ أي يجعلها لنا غنيمة ] ؟ قلنا نعم ؟ فخرجنا [ وكان ذلك في اليوم الثامن من رمضان ] . فلما سرنا يوماً أو يومين قال : إنهم علموا خبرنا فاستعدوا للقتال ، فقلنا لا ، والله ما لنا طاقة بقتل القوم ، فأعاد قوله : فقال له المقداد بن الأسود [ المقداد بن عمرو الكندي من المهاجرين ] يا رسول الله لا تقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : [ اذهب أنت وربك فقاتلا إياها هنا فأعدون ] ، ولكن قول : إنا معكم مقاتلون .. وقال سعد بن معاذ وهو من الأنصار : آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك . فوالذي بعثك بالحق لو اعترضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخاف منا رجل واحد . وما نكره أن تأتي بنا العدو غداً . وإنا رجال صبر في الحرب وصدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك . فسر بنا على بركة الله » . فسر ﷺ بقول سعد بن معاذ ، ونشط لذلك ثم قال : أبشروا ، إن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، العير ، أو النضير . والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم . فسار قريباً من بدر . ثم بلغه أن أبا سفيان قد نجا بالعبير [ إذ حول طريقه تجاه البحر الأحمر ] وإن قريشاً [ التي استدعاها أبو سفيان إلى نصرته بعد أن علم سراً بما عزم عليه المسلمون من لقائه في نقرة ] أقامت وراء الوادي . وبعد أن نجا أبو سفيان بسبب تغييره اتجاه خط السير العسادي أرسل إلى قريش يطلب منهم العودة إلى مكة . فأبى أبو جهل بن هشام ، فأصرمه عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف من زعماء قريش . فكان اللقاء ، وكانت الهزيمة لقريش . قتل أبو جهل وأعوانه ، وأسر سبعون ، وهرب الباقي . ولما انتهت الحرب أمر ﷺ بدفن القتلى من المسلمين والمشركين على السواء ، كما دته في الغزوات كلها ،

ثم قتل من الأسرى: النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط ، لشدة إيمانهم المسلمين في مكة . ولم يقتل من الأسرى بعدها أحداً طول حياته .

وبشير القرآن الكريم إلى ما تردد في صدر بعض المسلمين ، من عدم لقاء المشركين في هذه الموقعة لقاء حرب بقوله : « وإذ بعثكم الله إحدَى الطائفتين [ إبل أبي سفيان وما حملت من غير قتال ، أو النفيير وهو كناية عن القتال وما يترتب عليه من نصر مبین لكلمة الحق ] : أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة [ وهي الأولى ] تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته [ بقرآنه ] وَيَقْطَع دَابِرَ الْكَافِرِينَ [ بهذا اللقاء المواجه ] . لِيَحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَكَوْ كَسِرَ الْمَجْرُسُونَ (١) » .

هذا كان انتمال لإحقق الحق وإبطال الباطل ، مهما كره صاحب الباطل ومهما أجزم في سبيله ، وصاحب الحق إذا قوى إيمانه بمحمة - مهما ضعف عدده ، وكان يرى ذليلاً من أجل قاتله - لا بد أن ينتصر على الباطل ، مهما فجر صاحب الباطل وارتكب في سبيله أشنع الجرائم .

وعنا - بجانب قوة الإيمان بالحق - ترى أن روح التوكل والاقتماد من أجل الحق في لقاء صاحب الباطل ، وهي روح التضحية والفداء تفضل روح المستسلم . فقد رأينا هنا ما عليه الأنصارى والمهاجرى من روح عالية في الحرص على الحق وتثبيت أقدامه ، ملك الروح التي بدت فيما قاله المقداد ، وسعد لرسول الله ﷺ عدم طاب الرأى في قتل أبي سفيان ومن معه في عودته من الشام .

هنا أيضاً - بجانب قوة الإيمان وروح التضحية والفداء - روح معاملة العدو بالمثل . عوق المشركون بمكة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بها عن نشر دعوته بكل وسائل الإيذاء والسخرية وحاصروا المسلمين وحلوا بينهم وبين

الاتصال بالركيين في العاملة والبيع والشراء ، وعندما هاجروا إلى المدينة صادروا أموالهم في مكة ومنعوا من لم يستطع الهجرة منهم من أن يأخذ سبيله للقاء إخوانه المؤمنين . فلابد أن يعوق هذا العدو عند القدرة على تمويهه ، حتى يمتنع أذاه إلى النهاية . وهذا كان سبب اللقاء ، وسبب الواقعة في بدر .

بجانب هذه المبادئ ، قضى الرسول على بعض الأسرى ، لا انتقاماً من الأشخاص ، ولكن لإيذائهم الذي أصاب المسلمين في غير شفقة ، وإعلاناً عن عدم الرضا على ارتكاب الجرائم في سبيل الباطل .

وراء هذا كله ، تلك الإنسانية التي تمثلت في دفن قتلى الأعداء وصيانة جثثهم من التهلك والتبذل .

يوم بدر هو يوم المبادئ ، يوم الحق ، والإيمان به ، والنضحية في سبيله ، والطاعة لمن يقود معركة ، والنصر لمن يحرص عليه . « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله أعلكم تشكرون » .

## يوم بدر

تذكر موقعة بدر بما كان لها من نتائج في حياة المسلمين ومستقبل الإنسانية ، وما كان فيها من مبادئ أدت إلى هذه النتائج ، ثم يتلازم هذه النتائج لتلك المبادئ في الحصول والوقوع .

موقعة بدر نقطة فاصلة بين ماض كان للمسلمين ، وهو ماضى النلة والضعف في العدد والمدة والثراء والجاه ، وبين مستقبل هو مستقبل العزة للاسلام والقوة والسيادة للمسلمين . هي نقطة فاصلة بين ظلام وجهل وهمجية وحيوانية في حقبة من حقب الإنسانية ، وبين نور وحضارة ومثل رفيعة في تاريخ البشرية .

واقع موقعة بدر التي تمت في السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة أنها كانت التقاء بين طرفين : بين طرف ضعيف في عدده رقيق في عدته ، يشعر بالظلم والاضطهاد ، وفي الوقت نفسه يحمل مشعل نور الإيمان بالله ، ونور الرسالة التي هي هداية للناس جميعاً ، كما يحمل مشعل الحرية ، ومشعل القيم الفاضلة للإنسانية ، وبين طرف آخر هو طرف المشركين كان أكثر عدداً وأقوى عدة وأشدّ جاهاً ، وفي الوقت نفسه كان يدفع في طريقه إلى الحياة عن طريق عبادة الأصنام والشرك في الأوهية ، والهمجية في السلوك . وكان نتيجة هذا اللقاء هو أن انتصر الطرف الذليل الضعيف في عدده وعدته ، القوي في إيمانه ، والبشر بهداية الله في رسالته .

ولم يتقرر لقاء المسلمين الذين تجمعوا يومئذ بالمدينة للمشركين الذين قدموا من مكة يقودهم أبو جهل في تلك البقعة التاريخية التي تعرف ببدر بالقرب من المدينة إلا بعد أن أفلحت كافلة أبي سفيان التي قدمت من الشام في طريقها إلى مكة هرباً من اعتراض المسلمين إياها . ولم يتم المسلمون بالمدينة يومئذ باعتراض هذه الكافلة

الإحاراة لتحظيم شوكة هؤلاء القرشيين الذين آذوا للمسلمين في ديارهم بمكة وحلوم باضطهادهم العنيف المتكرر على الهجرة منها إلى يثرب ، واستدلوا بأق المسلمون الذين لم يتمكنوا من مغادرة مكة . فكان اعتراضاً قصد به دفع اعتداء هؤلاء الشركين إلى الأبد ، كما قصد به تقرير وضع الدعوة الإسلامية . المسلمون هاجروا من مكة بدينهم وفي سبيل الحق ، وأقاموا بالمدينة - المهاجرون والأنصار على السواء - في إخوة وتعاون نصرته هذا الحق . ولم يبد لحظة ما في سماء الدعوة الإسلامية إذ ذلك أن الشركين من قريش - ألد أعداء الدعوة الإسلامية في ميلادها - أنهم تخلوا عن عداء المسلمين ، ولا عن ملاحقتهم ، ولا عن اضطهادهم في وطنهم الأول وفي مأمنتهم يثرب ، وكان واضحاً أنهم لا يزالون يستمرون في الاستخبار عن أحوال المسلمين بعد هجرتهم انتظاراً لفرصة تواتبهم لا للقص من مضجعهم فحسب ، وإنما لإفنائهم وإفناء دعوتهم معاً .

وتلك سنة الطبيعة ، ومبدأ الحياة : أن الانسان إذا استشعر بحدو يتبعه وينتظر مقتله - لا بد أن يعمل على كبر شوكته وإضعاف شأنه وبالأخص إذا كان ذلك الإنسان المتمدن عليه صاحب رسالة في الحياة هي رسالة الحضارة والمدينة للإنسان ، وهي رسالة الحق وهداية الناس ودفع الباطل وتنحية الظالم والرق والعبودية من المجتمع الإنساني .

ولقاء المسلمين للمشركين في بدر كانت تمليه الضرورة ، وهي الضرورة التي تدفع الإنسان إلى حماية وجوده ، وحماية رسالته في سبيل الحضارة والمدينة والحق . لم يدرك محمد المسلمين يومئذ أن يعترضوا قافلة أبي سفيان ، ويعوقوا وصولها إلى مكة محملة بالتجارة من الشام - للنهب وسلب ما على هذه العير من أحمل ، لأنهم أصحاب رسالة الإنسانية والفضيلة . ولم يكن إذن من أهدافهم أن يسموا في سبيل تحقيق الشهوة والرغبة وإلا لما أحملوا أنفسهم مؤونة الخروج من المدينة ، وحمل

بعضهم قسبه عبء إقناع البعض الآخر للقاء المشركين في هذه الموقعة وهم جميعاً ليسوا على أهبة ولا استعداد لهذا اللقاء؟ لو كان من رسالة المسلمين السلب والنهب لاستطاعوا أن يفعلوا ذلك بمن يجاورونهم في المدينة . ولو كان من رسالتهم الحرب والاعتداء لذات الاعتداء لما أمنوا جيرانهم في المدينة ، ولما أوفوا بمهودهم التي أعطوها إياهم . ولكنها كانت موقعة أريد بها - كما أشرنا - تحطيم قوى هذا العدو اللدود كي تسير الدعوة في طريقها ، وكى يصل شعاع النور إلى قلوب الناس ، دون أن يعترضها معترض ممن يعيش في الظلام والجمل والمهجبة .

وما انصر المسلمون في موقعة بدر - وهي الموقعة الأولى بين المسلمين والمشركين مع ضعفهم ومع ذلتهم إلا بإيمانهم القوى برسالتهم وبتوكلهم على الله ، وبطاعتهم لرسول الله ، وبإيثارهم الحياة الآخرة على الدنيا ، وبإصلاح ذات بينهم ، وتعاونهم فيما بينهم . وهكذا كان إيمان القلوب برسالة المثل والأهداف العليا ، بجانب التعاون والأخوة مضافاً إلى التوكل على الله وطلب المعونة منه في الشدائد والأزمات ومضافاً أيضاً إلى طاعة القائد ، وعدم مجادلته فضلاً عن عصيانه : من الأسباب التي حولت الضعف إلى قوة ، والظلام إلى نور ، والفقر إلى عمران ، والبداءة إلى حضارة ومدنية ، والعبودية إلى حرية ، والظلم إلى عدل ، والخوف إلى أمان . وبذلك كان النصر للمؤمنين ، وبذلك تحق وعد الله : « وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ <sup>(١)</sup> » .

المبادئ - هي كما ذكرنا ، والنتائج هي النصر للحق ورسالة الإنسانية والسلام والعدل والإخاء مهما طال أمر الجهاد في سبيلها ، والهزيمة كل الهزيمة للشرك والكفر بالمثل وبالإنسانية مهما طغى أصحابها ومهما تعدد عدوانهم كما وكيفاً .

غزوة بدر هي الفرقان بين الحق والباطل ، وبين ماضٍ ذليل ، وحاضر ومستقبل

وى عزيز .

---

(١) الروم : ٤٧

## الأعياد فرصة لتجديد الحياة

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون . . . يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع في صلاة العيد . وفي عيد الأضحى يفتتح التكبير عقب الصبح يوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذى الحجة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر من ذى الحجة نفسه ، نحو خمسة أيام :

١ - يؤكد بالتسكرار : أنه لا أكبر ولا أقوى ولا أكل في الوجود سوى : الله .

٢ - يعتمد على الله ، ويحمد له نعماءه ، ويرضى بقضائه .

٣ - ينادى بملو الله وارتفاعه .

٤ - يؤكد وحدانيته ، ويعان الإخلاص والانتقاد له ، ويصر على ذلك مهما كان من غضب المخالف .

يجهر بذلك في القول والدعاء ، ويجهر بذلك في الصلاة في الخلاء ، ويجهر بذلك فيما يزين به نفسه .

العيد الإسلامي فيه مظهران : المظهر الأول الإعتداد بقيم الجماعة الإسلامية . المظهر الثاني الجهر بالاعتداد بهذه القيم .

سنة المسلمين التي آرت عن رسول الله ﷺ في الاحتفال بعيدى الفطر والأضحى - هي أولاً : التكبير على هذا النحو :

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله

بكرة وأصيلا ، لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون .

وفرة هذا التكبير تطول وتقصر حسب العيد :

أولا : ففي عيد الفطر يفتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع في صلاة العيد ، وفي عيد الأضحى يفتح التكبير عقب الصبح يوم عرفة ، وهو اليوم التاسع من ذى الحجة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر منه ، أى نحو خمسة أيام .

وثانياً : الجهر والعلانية عند ترديد هذا التكبير ، والجهر والعلانية في صلاة العيد بأن تكون في خلاء ، والجهر والعلانية فيما يتزيا به المحتفلون بأن تكون ثيابهم نظيفة ، ويستحب أن تكون جديدة ، وفيما يزينون به أنفسهم من طيب . ترديد : أن الله أكبر وأنه أحد لا شريك له ، وإعلان ذلك في غير خفاء ولا لبس : هو مظهر العيد الإسلامى ، وهو سنة المسلمين في الاحتفاء به .

يأتى العيد ويأتى معه مظهره وسنة المسلمين في استقباله . ويتكرر العيد في العام مرتين ويتكرر الاحتفال به على هذا النحو : نداء بأن الله أكبر ، وأنه وحده لا شريك له ولو كره الكافرون ، وجهر بهذا النداء المتكرر في خوف الليل وفي وضح النهار .

إنه إذن فرصة ليجدد فيها المسلمون شعار الحق بينهم ، وما انفقت عليه قلوبهم من إيمان ، وما قامت من أجله جماعتهم وتميزت به عن أية جماعة أخرى غيرها . والمسلمون كسامين لم تتميز حياتهم عن حياة أية جماعة أخرى بالأكل والشرب ولا بأوانهما ، أو بأسلوب تناولهما . ولم تتميز أيضاً بالتقدم أو بالتأخر في الحضارة وفي فنون الصنعة ، وما أشبه ذلك مما يعرض لكل جماعة ويشترك فيه غير واحدة . تميزت حياة مسامين بالإيمان بالله الواحد ، والاحتفاظ بالوحدة في الشعار والعلاقة بينهم ، تلك الوحدة التي تترجم عنها - كما توحى بها -

عبادات الصلاة والزكاة والصوم والحج . وما تميزت به حياة المسلمين كسلمين يعبر عنه نداء التكبير في العيد : الله أكبر ... لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون . وإذن الاحتفال بالعيد هو تأكيد جديد لما تميزت به حياة المسلمين كسلمين .

وأن أية أمة لا بد أن يكون لها في سنى حياتها سنة بعد سنة من الأعياد ما تستعيد فيه ذكرى قيامها كأمة ، وما تعيد فيه العهد على الاحتفاظ والمحافظة على الأهداف التي ربطت بين أفرادها ، وكونت منهم أمة تميزت عن غيرها .

\*\*\*

نحن كسلمين يجمع بيننا إذن الإيمان بوحدة الله ، ووحدة الشعار ووحدة الهدف والغاى فى العلاقات ، والانسجام فى الصف عند الصلاة وعند الكفاح ، والافتداء بإمام واحد فى الصلاة والطاعة لقائد واحد عند كفاح الخصم الأجنبى . ولذلك كانت السنة المأثورة فى الاحتفال بالعيد هى الإعلان والجهر فى وضوح بما اجتمعنا عليه كسلمين . وكان ذلك هو السنة المأثورة ، لأنه هو الذى يحددنا كجماعة قامت ، وهو الذى يحفظ لنا استمرار حياتنا كجماعة وأمة مسلمة .

إن عيد الفطر يعقب صوم رمضان ، وصوم رمضان فترة صفت فيها نفس الصائم لله الواحد لأنها راقبته وحده فيما قامت به من صيام . فكان عيد الفطر نهاية لهذه الفترة يعلن فيه الصائم فى غير التواء ولاء لله الأكبر الواحد كما يعلن فى غير التواء كذلك تحديه للخصم المعاند إذ يقول فى ندائه : « مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .

وإن عيد الأضحى يتبع الوقوف بعرفات ، وعرفات هو المكان الذى يلتقى فيه المسلمون من كل من حذب وجهة فى وقت واحد ، منشاهين فى اللبس والمظهر كما هم متحدون فيما ينطوى عليه القلب من إيمان بالله الواحد . فكان عيد الأضحى

هو نهاية هذا الاجتماع العام الذي يعلن فيه الحاج في غير التواء ولاءه لله الأكبر الواحد، كما يعلن فيه في غير التواء أيضاً تحديه للخصم المعاند .

أيها السامون في مشارق الأرض ومغاربها :

احتفالكم بالعيد هو احتفال بمقامات جماعتكم ، هو عهد يعطى الله في علانية تامة على الاحتفاظ بشخصيتكم . هو تصريح في اجاءع يقدم المبالاة بخصمكم ، هو إعلامه عن ولاء بعضكم لبعض وعدم اتخاذ المخاصمين لكم أولياء من دونكم ، هو إعلان لهذه الآية الكريمة : «لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَ وَيَحْذَرِ اللَّهُ فَسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ<sup>(١)</sup>» .

إن الإسلام دين وحدة ، ولكنه ليس ديناً لفرد في غير ما صلة بفرد آخر ، إنه دين الإيمان بالله الواحد ، ودين الجماعة التي آمنت بالله الواحد . يعنى بوحدة الله في الإيمان ، كما يعنى بوحدة الجماعة في العلاقات ، والصفوف ، والإمامة ، والقيادة .

وأعياد الإسلام لذلك هي أعياد جماعة واحدة ، سنت لتنتهي فيها قلوب الأفراد على وحدة الشعار ، ومن أجل وحدة البقاء .

إن عيدي الفطر والأضحى شرعهما الإسلام لتجديد الحياة كإسمه الإسلام لمن آمنوا به ، وهى حياة الإخاء والوحدة والقوة في مواجهة الخصم . الله أكبر ، لا شريك له ، مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون : ساداه هو مظهر احتفالكم بالعيد .

## العيد في حياتنا الاجتماعية

حياة الجماعة ليست على نمط حياة الفرد :

حياة الفرد الشخصية لا يكثر فيها الشد والجذب ، ولا يبدو فيها الاحتكاك بينه وبين نفسه . ومهما توزعت نفس الإنسان ، وترددت بين اتجاهات مختلفة في الحياة وفي السعى فيها ، فإن توزعها أو ترددها لا يؤدي إلى حقد الإنسان على نفسه أو إلى العمل على هدم ذاته .

أما حياة الجماعة - لأنها حياة مجموعة من أفراد الناس ربطت بينهم بقعة محدودة مما فيها من إمكانيات العيش ، ووسائل الحياة المختلفة - فشأنها أن تكون مجالاً للتنافس . وحياة تقوم على التنافس تثير بين المتنافسين أسباب الخصومة والنزاع ، والاحتكاك والاصطدام . والضعفاء من بين أفراد الناس الذين تتكون منهم الجماعة ، أفقر أو لمرض ، أو لجهل يسلكون في خصومتهم واحتكاكهم طريق الضعفاء ، وهو طريق الحقد والحسد والادس والإيقاع ، والنفق والاستخذاء . والأقوياء من بين هؤلاء الأفراد تقرهم قوتهم ؛ المهتم أو صحتهم ؛ أو جاههم ، فلا يعطون على ضعفاء جماعتهم ، بل يسترسلون في طريق قوتهم ، في طريق المال وجمعه ، والاعتزاز بالصحة والإغراق في حب الجاه ومظهره . وبهذا وذلك تتفرق الأرواح والنفوس ، ولا تلتقي نفس بنفس إلا في سبيل حزبية ، أو لزيادة القرقة والانفصال .

والدين حقاً قد تكفل برفع هذه الفجوة بين الضعيف والقوى ، فخارب خطوات الضعيف ، وهي خطوات الحاقد الساعى بالإيقاع ، الذي يضر الشر ولا يستطيع أن يعبر عنه ، كما حارب القوى في غروره وخداعه بقوته ، ونصح

كليهما بأن يمد كل منهما يده للآخر . والضعيف يمد يده للقوى ليبارك له فيما حياه الله من قوة ، والقوى يمد يده للضعيف ليعاونه على حال ضعفه وينقذه من هوانه ومذله .

الدين تكفل بهذا كله ، ورسالته في الجماعة هي التماون بين الناس أو العمل على التقاء الضعيف بالقوى ، والقوى بالضعيف ، في جو إنسانى تبدو فيه المشاركة الإنسانية في أوضح مظاهرها ، وفي صورتها السكرية .

ولكن الدين إذ يتكفل بذلك ، فطبيعه الجماعة من المناهضة ، والفرقة من أجلها في ميدان الحياة المشترك — إن استقامت فترة من الزمن وخضعت لوصايا الدين في نصحه للجماعة — قد تعود إلى حالها الفج في فترة أخرى بحكم ما لهذه الطبيعة من قوة في ذاتها لا تقنى ، بل تضعف فقط إذا ما تأثرت بوصايا الدين . ولذلك أوصى القرآن الكريم — كعامل لمقاومة عودة هذه الطبيعة إلى حالها الأول — بعد أن استقر الإسلام واكتملت آياته وتعاليمه : باستمرار الدعوة إلى هذه التعاليم قال : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ويهتدون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

ومعنى أنه يطلب استمرار هذه الدعوة : رغبته في عدم ترك الجماعة بعد تنبيهها لأول مرة وإيقظ وعى الدين بها ، خشية أن تعود إلى إلها وسابق عهدا .  
والهدى في حياة الجماعة يشبه القيام بهذه الدعوة بين فترة وأخرى يعود من وقت لآخر فيتكرر كما تتكرر الدعوة ، ويتجلى في وقتها — كأثر له — موقف خاص ، يتخذ الأفراد بعضهم تجاه بعض . هذا الموقف هو وقت الخصومة بين المتخاصمين ، وما خصومتهم إلا خصومة الضعيف للقوى والقوى للضعيف ، ثم إقبال كل من الطرفين على الآخر بوجهه ، بعد أن كان مواجها له ظهره . هذا الموقف

من شأنه أن يضيف الخصومة ، أو يؤجل أمرها إلى حين . وذلك كسب للجماعة التي تريد أن تتحد لتقوى .

والرسول عليه الصلاة والسلام حرص في خطبته يوم عيد الأضحى أن يؤكد حرمة المسلمين فيما بينهم ، أن يؤكد حرمة الدماء والأموال والأعراض حتى لا تنتهك من ضعيف أو قوى ، وحتى لا يستمرى . طرفا الخصومة شهوة اللجاج فيها . فيروى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال : « يا أيها الناس أي يوم هذا ؟ قالوا : يوم حرام ( أي ذو حرمة وتعظيم ) قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام ، قال : فأى شهر هذا ؟ قالوا شهر حرام . قال : فإن دعاءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا . فاعادها مراراً ، ثم رفع رأسه فقال : اللهم هل بلغت ( قد بلغت ، اللهم هل بلغت ) . »

ويوم النحر هو اليوم التالى ليوم عرفة وهو المعروف باليوم الأول من أيام عيد الأضحى المبارك: عيد إسلامي . يروى عن عقبلة بن عامر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يوم عرفة ، ويوم النحر ، وأيام التشريق ، عيبتنا - أهل الإسلام - وهى أيام أكل وشرب » .. أى لا يبنى فيها الصوم والامساك عن الأكل والشرب .

وهنا موقف آخر كثر للعيد في حياتنا الاجتماعية وهو أن من بين أفراد الجماعة حتماً من لا يكون صاحب شهوة في الخصومة ، ومن هو يتأذى بنفسه عن الاحتكاك والاصطدام ، سواء في صورة احتكاك الضعفاء أو الأقوياء . هؤلاء غالب الخير على طبيعتهم ، ولم يدعوا للشر منفذاً ينفذ منه في علاقتهم بغيرهم . فإذا أقبل العيد فإقناله عليهم من دواعى زيادتهم في الخير بالتسامح والتصافى أو البذل والاعطاء . وهذا من غير شك من أسباب حسن التفاهم في الجماعة ، وحسن التفاهم فيما من عوامل اتحادها وقوتها .

وهذا الموقف وذاك : يشبه أثر الدعوة لتعاليم الدين عندما تتجدد وتثمر . ثم إن العيد الدينى إذا عاد صحب معه ذكريات التعاليم الدينية فهو نفسه تجديد للدعوة وإحياء لوصاياها . ولأن للعيد هذا الأثر فى حياتنا الاجتماعية ، كما زدنا احتفالاً به ، وتقديراً لعودته كما كان أثره أقوى وأوسع ، وكما نجح دعاة الدين فى تقوية هيبة الأعياد الدينية فى نفوس الأفراد ، كما عاد هذا الأثر على المجتمع بالصفاء والإخاء والقوة .

وان مجتمعاً كمجتمعنا تسيطر فيه روح الأنانية ، وتكثر فيه عوامل الفرقة والخصومة ، وينقسم إلى شيع وأحزاب يبغض بعضها بعضاً - فى حجة ماسة إلى إيقاظ الوعى النفسى بالعيد ، ثم تؤكد هذا الوعى وتقويته .

نحن فى أيام الأعياد نرجو أن يقبل بعضنا على بعض ويصافح بعضنا بعضاً ، ونفصح صدورنا لهنات بعضنا ، وننطق بشكر أهل الخير فينا . إن فعل ذلك نكون قد احتفلنا بالعيد ، ويكون للعيد أثره المبارك فى حياتنا الاجتماعية .

إننا فى حاجة لأن تقوى ، لأنفسنا خاصة . ولجاهنا الذى نستمد منه من عزة أوطاننا . فأحرى بنا أن نشعر بالعيد ، وشمورنا به أن نمحو خصومتنا فى جماعتنا بالأمس ، وأن نفعل الخير لأهائنا وجيراننا ومواطنينا إن استطعنا .

## الروابط الإنسانية في العيد

إن الاحتفال بعيد أى عيد للجماعة من شأنه أن يوظف الوعي بالروابط التي بين أفراد هذه الجماعة . إذ لا تحتفل جماعة ما بعيد من أعيادها إلا لذكريات تعيد لها مجداً أو صورة نصر وقع في الأيام التي تحتفل بها . وهذا النصر أو هذا المجد الذى وقع لها في التاريخ ، إنما وقع بسبب ما بين الأفراد من دوافع مشتركة نحو تحقيق هدف معين . وإذن الأحداث في تاريخ الجماعة التي من شأنها أن تذكر بصور أمجادها وانتصاراتها — تمثل أسباب قيام الجماعة ، كما تصور مثلها الرفيعة التي تسعى إلى تحقيقها .

وعلى سبيل المثال في جماعتنا الإسلامية — نرى العيدين : عيد الفطر ، وعيد الأضحى بصوران مجدداً ونصراً ، ثم لأول مرة في اليوم الذى يحتفل به كل عام . وهو اليوم الأول من شوال في عيد الفطر ، واليوم العاشر من ذى الحجة في عيد الأضحى . فاليوم الأول يمثل النصر بإتمام صوم رمضان . بينما اليوم الثانى يصور سر الأداء لفريضة الحج . وكل من رمضان ، والوقوف بعرفات له شأن يذكر في تاريخ الجماعة الإسلامية ، ومنزلة بين الفرائض التي فرضت في تعاليم الإسلام . فضلاً عن أن رمضان هو الشهر الذى أنزل فيه القرآن ، أساس الهداية للمسلمين ، ومصدر الروابط المشتركة بين أفراد الجماعة الإسلامية ، وموضع تحقيق مثلها وأهدافها — فإنه نفسه يعبر بصومه عن انتصار الإرادة الإنسانية على الشهوة ، والرغبات التي من شأنها أن تبعد الإنسان عن أن يكون صاحب سيادة على نفسه وعن أن يكون مسهماً في سيادة مجتمعه .

والوقوف بعرفات — فضلاً عن أنه يصور انتصار المسلمين في اجتماعهم من جميع مشارق الأرض ومغاربها في مكان واحد وفي لحظة واحدة من اليوم

الواحد - فإنه يعبر عن روح مساواة بين المسلمين جميعاً ، سواء في وقوفهم أمام الله مجيبين دعوته ومطيعين أمره بقولهم : لبيك اللهم لبيك ، أو في تجردهم من مظاهر الدنيا بحيث لا يعرف فقيرهم من غنيهم ، ولا يعرف وضيعهم من سيدهم ، ولا يعرف مشرقيهم من مغربيهم إلا باللسان واللحجة .

وماتم إذن في اليوم الأول من شوال من إتمام شهر الصيام ، وفي اليوم العاشر من ذى الحجة من إتمام الوقوف بعرفة - من شأنه أن يعيد المسلمين صورة ذلك النصر المؤزر ، وهو نصر الإرادة الإنسانية والتفاني بين أفراد الجماعة الواحدة على الإيمان وحب الله والمسارعة .

وكأن عيذى الفطر والأضحى يصوران هذا النصر للمسلمين - فإن هذا النصر نفسه لم يكن نصراً للجماعة إلا بعد أن قامت روابط هذه الجماعة على أساس من الإيمان بالإسلام وتحقيق أهدافه ومثله العليا . وإذن هنا عيدان يذكرا المسلمين بتلك الروابط التي قام عليها مجتمعهم ، كما يذكراهم بتلك الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها . وهي روابط لاتصل بالدم ولا بعلاقة النسب ، وإنما تتصل بالمثل الفاضلة ، وهي تلك المثل التي تصور مستوى الإنسانية الرفيع . ومن هنا كان الاحتفال بأى عيد منهما هو تذكار بتلك الروابط الإنسانية التي جمعت بين المسلمين في الأساس والغاية .

\* \* \*

ولأن وضع العيد في الجماعة هو هذا الوضع ، وهو وضع الموقظ لتذكريات تتصل بالعلاقات الإنسانية بين أفرادها - يطلب في الاحتفال به الإعلان عنه ، تعريفاً به وتذكيراً قوياً لآثاره . وهنا كان من السنة في احتفال العيدين : الفطر ، والأضحى في الإسلام ، جملة مظاهر تعبر عن هذا الإعلان . أولاً : أن تكون القراءة في صلواته قراءة جهرية ، وأن يكون اجتماع المسلمين لصلوة العيد في مكان خلوي ، وأن يكون تكبيرهم في ذهابهم إلى مكان الصلاة بصوت مسموع . هذا

يجانب ما يطلب من المسلمين من لبس جديد ودفع كل ما يؤذى حاسة الشم أو حاسة البصر . على أنه يستحب أيضاً - كطريق لهذا الإعلان - أن يكون الذهاب إلى مكان الاجتماع من طريق ، والرجوع من طريق آخر ، فيروى البخارى : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج يوم العيد في طريق رجع في غيره » .

وهذه الصور لإعلان الاحتفال بالعيد ، بدورها ما هي إلا تعبير عن ذلك الشعور النفسى الداخلى بالفرح والسرور . وهو الفرح برابط الأخوة المشتركة . والسرور بالتقاء الأفراد على المثل التى جمعت ووحدت بينهم . ولأن النفس عادة إذا تمكن منها داعى الفرح والسرور تخرج عن جديتها فى الحياة ، لذلك نرى الإسلام يتيح ممارسة اللهو غير الضار وغير المفسد فى هذا اليوم . فيروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قدم النبي المدينة ولهم يومان يلعبون فيها فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما : يوم الاضحى ويوم الفطر » .

إن الاحتفال بيوم العيد إذا أيقظ الروابط المشتركة بين أفراد الجماعة التى تحتفل به - فإن فى مقدمة هذه الروابط : الوحدة فى القيم والمبادئ . ووحدة القيم والمبادئ . كما تشجع على قوة الترابط بين الأفراد ، تحمل هؤلاء الأفراد على أن يستمروا فى سبيل هذه الوحدة الخالدة . لأنهم سيذكرون فى الاحتفال بالعيد أنهم انتصروا من أجل تلك القيم والمبادئ ، وبسبب تمسكهم بها . وهنا أبرز شئ نستلهمه من ذكرى العيد والاحتفال به هو هذه الوحدة فى القيم ، والأخوة فى الترابط . وعن هذه الوحدة فى القيم ، والأخوة فى الترابط ، تنشأ الصلات الأخرى ، من عطف القوي على الضعيف ، وتودد الجار لجاره ومواساته له فى الضراء ومشاركته له فى فرحه ، ورعاية ذوى القربى واليتامى والمساكين ، والمحافظة على الحرمات من نفس ومال وعرض .

## عيد الفطر

الاحتفال بعيد الفطر هو احتفال بجهاد النفس في التقياس بالصوم في شهر رمضان وبالنجاح فيه . هو احتفال بقوة العزم والتصميم التي تمكن بها الإنسان الصائم من التغلب على نوازع الشهوة والهوى في نفسه طوال شهر الصوم ، والتي ضيقها منها عدته في التغلب كذلك على ما يعترض طريق حياته في غده : من صواب وأزمات .

وما أخطر الصواب والأزمات التي تعترض الطريق في حياة المؤمن وصاحب القيم والمبادئ . وهي عادة قيم ومبادئ تميز وجود مجتمعه وأمته وعالنه . صواب وأزمات يختبر بها كل مجتمع : إن في رهبة عدو له ، أو في قوت يومه بسبب نقص مؤقت فيه ، أو في ضائقة اقتصادية ، أو في وباء أو عواصف أو زلازل تؤدي بحياة الكثيرين من أبنائه .

ويكاد يكون الاختبار يمثل هذه الصواب والأزمات قانوناً من قوانين الوجود ومن طبيعة المجتمعات الإنسانية لا يتحلف عنه أى مجتمع كما تقول الآية الكريمة :

« ولنبلونكم :

« بشئ من الخوف ،

« والجوع ،

« ونقص من الأموال ، والأنفس والثمرات ،

« وبشر الصابرين » .

ثم تقول الآية الأخرى :

« لتبلون :

« في أموالكم ،

« وأنفسكم ،

« ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا :  
أذى كثيراً ،

« وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » ..

فالقرآن - وهو كتاب الله لهداية الإنسان - يؤكد أن الأزمات المتنوعة  
وهي أزمات مادية ونفسية تعترض طريق كل أمة ومجتمع في حياته وفي سبيل  
تمسكه بالمبادئ والقيم الإنسانية التي من شأنها أن تحقق خيره وتعلي كلمته . وعندما  
يؤكد القرآن ذلك : لا يرى من علاج للتغلب عليها سوى الصبر .

وطريق الصبر يمكن في قوة العزم والتصميم . وهي قوة عزم الأفراد وتصميمهم .  
إذ ليس للأمة أو للمجتمع قوة عزم وتصميم مستقلة عن قوة أفرادها ووراءها أو  
فوقها . وهنا كان صوم رمضان وأثره على الفرد في تكوين هذه القوة وفي  
توجيهها نحو تحدى الشدائد الاقتصادية والنفسية معاً .

فليس المطلوب في صوم رمضان هو إمساك لحسب عن شهوة البطن وشهوة  
الفرج ، وإمساك كذلك عن انحراف الحديث ، وإنما في الدرجة الأولى : إمساك عن  
الغضب وتحمل الأذى . والإمساك المطلوب إذن هو إمساك مادي ونفسي معاً مما  
يهدى الفرد لمواجهة سلبية لما يعترض طريق حياته كإنسان ، فيما يتصل ببدنه أو  
بنفسه على السواء ، وبهيئته أيضاً للتأملك والصفاء مع غيره .

وطلب الصوم لكل رمضان يأتي على الإنسان في حياته . قصد به الاحتفاظ  
بقوة العزيمة وبالتالي بقوة الصبر والتحمل عنده ، ليسكون على درجة من الاستعداد

يقاوم بهافي غير تردد: ما يواجه حياته من صعاب طبيعية أو مفتعلة من عدو أو متآمر:

\* \* \*

ومن أجل ذلك كان دعاء العيد هو نشيد « النصر » .. يدعو به المحتفل ربه في نشوة الفرح وفي علانية ، شأن المنتصر في ميدان المعركة في طريق عودته إلى مقره .

إنه في دعائه يذكر شعار ما يؤمن به ، وهو :

« الله أكبر .. لا إله إلا الله وحده ، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر والله الحمد ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً » .

ثم يذكر فضل الله عليه في النصر فيقول :

« لا إله إلا الله وحده ،

« صدق وعده ،

« ونصر عبده ،

« وأعز جنده ،

« وهزم الأحزاب وحده » .

ثم أخيراً يعود في هذا الدعاء فيعان تأكيد شعار الإيمان مرة أخرى مع الإخلاص في الولاء لله مهما كان اعتراض الأعداء على إيمانه وصدده له :

« لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ،

« نخلصين له الدين ولو كره الكافرون » .

وهذا الدعاء وإن أرجح فيه النصر على العدو إلى الله ، فليس معناه أن الفرد لا يدخل له فيه . وإنما القصد إلى دفع غرور الإنسان بقوته ، وعدم إضعاف صلته بالله والاعتماد عليه في مباشرة أي عمل بعد الإعداد له ، وقاية له من الزلل أو

المهزيمة بسبب الفرور والافتتان بالقوة المادية وحدها . كما حصل للمسلمين في موقعة « حنين » . ويقصها القرآن الكريم في هذه الآيات :

« لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ،

« وَيَوْمَ حَنْينَ إِذْ أَعْجَبَكُم كَثْرَتِكُمْ ، فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُم شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ، ثُمَّ وَليْتُم مَدْيَنَ .

« ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَوَدَّكَ جِزَاءَ الْكَافِرِينَ » .

وما عالج به القرآن هنا هزيمة المؤمنين في هذه الموقعة — بعد أن أراهم أثر الإعجاب بالقوة المادية وحدها من الفرار وخيبة الأمل التي ضاقت بها صدورهم وراحابهم — حتى عادوا فاتصروا ونال أعداؤهم على أيديهم ما لم يكن لهم قبل في احتمالها من عذاب . . . هو الرجوع إلى الله والتوكل عليه . فإذا رجع الإنسان إلى الله وتوكل عليه بعد إعداده : هدأت نفسه واشتدت عزيمته وتيقن من نصر الله إياه . وعندئذ سيكون النصر حليفه . لأن الثبات وقوة المهزيمة لا يقلان عن قوة الإعداد ، إن لم يتفوقا عليها في إحراز النصر في ميدان المعركة ، أو مجال إغراء الدنيا ومتعتها .

وما عبرت به الآية هنا في قول الله : « ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا . » . هو تصوير لرجوع المؤمنين إلى الله وتوكلهم وطلبهم العون منه .

\* \* \*

على أن اجتماع المؤمنين في مكان واحد لصلاة العيد ، في مسجد يجمعهم أو في صحراء تتسع لهم ، هو نفسه عامل قوة وتماسك في بناء الأمة ، وعامل آخر لتصفية النفوس من شوائب الخلافات الدنيوية . لأن اجتماعهم عندئذ هو في مواجهة الله

لتعظيمه وتكبيره . فإذا نطقوا مجتمعين ب : الله أكبر ، في مسيرتهم إلى العيد أو في أدائهم لصلاته . وكرروا ذلك عدة مرات فيكون من التناقض في نفوسهم أن يرفعوا متع هذه الحياة الدنيا الدنيوية التي اختلفوا بسببها قبل الآن إلى مستوى الله وجلاله ومستوى تعظيمه وإكباره ومستوى إعزازهم وإيمانهم به وحده في دنياهم .

والمؤمنون لم يجتمعوا في هذه اللحظة كذلك إلا ليجتفوا بالنصر كأفراد وكجماعة . وذلك مدعاة إلى مزيد من التماسك والقوة ، ثم في الوقت نفسه إلى مزيد من الصفاء والمحبة والأمل بينهم جميعاً .

فإذا جاء الحج بعد ذلك — وهو المؤتمر السنوي العام للمؤمنين — كان التقاؤهم فيه التقاء الأخ لأخيه الذي لا يحمل حقداً بسبب دنيا ، ولا يته إلى بسبب مال أو جاه وكان التقاؤهم فيه على الإيمان بالله وفي سبيل الله . على خير أنفسهم وخير أمتهم .

## العيد وأيام التشريق

الحج عبادة تتحقق في الانتقال من مكان إلى مكان، ومن ذكرى في مكان إلى ذكرى أخرى في مكان آخر . فإذا ابتدأت هذه العبادات بطواف القدوم حول الكعبة ، وانتقلت منه إلى السعي بين الصفا والمروة ، ثم إلى الوقوف بعرفة يوم التاسع من ذي الحجة ، ثم الإفاضة من عرفة إلى المشعر الحرام وهو المزدلفة يوم العيد أو النحر ، ثم رمى الجمار بمنى أيام التشريق الثلاث بعده : فلإنها تنهى بالكعبة في مكة مرة ثانية والطواف حولها طواف الوداع .

والحج - كعبادة - يهدف إلى صفاء النفوس وتزكيتها . يهدف إلى تهيئة جو قدسي تتصل فيه النفوس بجلال الله سبحانه وتعالى وتعلن فيه راضية مرضية : « لبيك اللهم لبيك » مستجيبة لأمره ومطبعة في سلوكها إلى هدايته . تخلى في هذا الجو بينها وبين فتنة الدنيا ومالها من زينة ومظاهر ، وتخلص فيه لله وحده .

وبجانب أنه عبادة ارتبطت بأمكنة معينة - هو يعيد للنفوس ذكريات : هذه الذكريات تتصل برسالة دين الله وتتصل كذلك بوضع المجتمع الإسلامي الذي قام على هذه الرسالة في صورتها النقية الخالصة .

فما يتصل منه بدين الله أنه يسهم بقسط واضح في إخلاص العبادة لله وحده وإبادة عن الشرك ، كما يسهم في تنقية الصورة التي كانت له نفسه في دين الله ، من الشوائب التي خالطته منذ عهد إبراهيم عليه السلام إلى دعوة الرسول محمد ﷺ : « وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلا تَشْرِكْ بِي شَيْئًا ، وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تَوَكَّرِ جَلًا ، وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ » (١) .

وما يتصل منه بوضع المجتمع الإسلامي - فإن ما يقع فيه من قسلة من مكان

إلى مكان : يعيد للمسلمين ما حدث في تاريخ تكوين مجتمعهم من أحداث تمت في الصيد وأيام التشريق بالذات ، في السنتين التاسعة والعاشر من الهجرة .  
وهي أحداث تصور ماتم في تصفية المؤمنين لوقفهم من المشركين مما وقع في السنة التاسعة من الهجرة على نحو ما يشير إليه سورة التوبة في آياتها في مثل قوله تعالى : « وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ، فَإِنْ تَبِمَ فَمَا خَيْرَ لَكُمْ إِذَا تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجَرِي اللَّهِ وَبَشَرٌ الْذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ آيَاتِهِ . إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدِهِمْ إِلَىٰ مَدِينَتِهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ . فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَاحْضَرُواهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ، فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ، ثُمَّ أَبْلغهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(١)</sup> » .

ففي هذه السنة التاسعة من الهجرة ، في يوم النحر وعند جرة العقبة بنى جاء على رضى الله عنه موقداً برسالة من رسول الله ﷺ إلى أبي بكر رضى الله عنه ، وكان أبو بكر أميراً على المسلمين في حج هذا العام . وتلا على هذه الرسالة على الناس جميعاً . وكان فيهم المؤمن والمشرك ، قائلاً : إني رسول رسول الله إليكم جميعاً . فقالوا : بماذا ؟ فقرأ عليهم أوائل سورة التوبة . ثم قال : أمرت بتبليغ أربع : لا يدخل الجنة كافر ، ولا يهج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان - أى من المشركين - له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته .

وبهذا التبليغ حدد على الوضع بين المسلمين والمشركين ، وأعان في صراحة واضحة تخلص المجتمع الإسلامى في عبادته وفي مبادئه من بقية القيود والالتزامات

التي قبلها المسلمون يوم أن كانوا لم يستكملوا كل الإمكانيات الأدبية والمادية التي ترجح كفتهم في النضال .

ومن هذه الالتزامات مشاركة هؤلاء الأعداء لهم في أداء الحج في وقته ، بالصورة التي ألفوها والتي تخاف في بعض جوانبها ما كان عليه الحج على عهد إبراهيم عليه السلام .

ولم يكن بد للمجتمع الإسلامي أن يتخلص من هذه القيود والالتزامات طالما قد تمكن من التفوق ، وطالما يرى إصرار عدوه على التربص والتدبر به ، وطالما يراه لا يرقب عهداً ولا ذمة في عضو من أعضائه ، وطالما يراه مسترسلاً في غيه ومسترسلاً في همجيته : « كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتآبى قلوبهم وأكثرتهم قاسقون (١) » .

وفي العيد وفي أيام التشريق أيضاً ولكن في سنة تالية بعد هذه السنة ، في السنة العاشرة من الهجرة ، وهي السنة التي ترأس فيها الرسول ﷺ الحجاج ولم يكونوا جميعاً إلا مسلمين - وقع من الأحداث ما يعيد لحجاج بيت الله الحرام بعد ذلك إلى يومنا هذا ، وبعد يومنا هذا : ذكرى يجب أن يقفوا عندها طويلاً ويجب أن تظل الدافع الذي يحدد موقف بعضهم من بعض ، كما يجب أن يظل الحادث السابق عليه دفكاً لمواقفهم من أعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر ولا يراعون فيهم عهداً ولا ذمة . هذا الحادث هو ذلك النداء من الرسول الذي وجهه للمؤمنين في جبهه الوداع

يقول فيه : « يا أيها الناس : إنما المؤمنون أخوة ، ولا يحل لامرئء مال أخيه إلا عن طيب نفس ، فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض واني تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعدي ... كتاب الله » .

هاتان حادثتان في تاريخ إسلامكم وقتنا في العيد وأيام التشريق . إحداها تذكر بما يجب أن تكون عليه سيادتكم نحو عدوكم . والأخرى تذكر بما يجب أن تكونوا عليه في داخل أمركم وتوجيهكم في الحياة . وكتاها ترسم طريق القوة في الخارج والداخل على السواء للمجتمع يريد أن يبقى قوياً ...